

بحث بعنوان

اثر وسائل الاتصال والتواصل المعاصرة في تشكيل الهوية وبناء القيم الثقافية

إعداد الدكتور : هایل عبد المولى طشطوش

استاذ مساعد / جامعة الشرقية / سلطنة عمان

E-mail: Havel1966@gmail.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى توضيح وتبيان الاثر الذي تركته وما زالت تتركه وسائل الاتصال والتواصل الحديثة على الانسان المعاصر، وذلك بسبب التغلغل الكبير والانتشار الواسع لهذه الوسائط في المجتمعات الحديثة؛ وكذلك سهولة الحصول عليها؛ مما شكل حالة ثقافية وفكرية جديدة في الفضاء الانساني العالمي الواسع؛ وخلق اشكالات كبيرة سببت نزاعات وصراعات ثقافية وقيمية واشعلت حربا انسانية كان وقودها الانسان.

لذا فان هذه الدراسة سوف تبحث في موضع التأثير المباشر لهذه الوسائط ودورها في تشكيل الحالة الثقافية والقيمية للانسان وخصوصا الانسان العربي .

الكلمات المفتاحية: وسائل الاتصال، الهوية، الثقافة، العولمة، القيم.

المقدمة:

لقد شهد العالم خلال العقدین الماضیین ثورة هائلة في وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات كان لها أكبر الأثر في أحداث تغييرات كبيرة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛ كما أثرت على كثير من القيم والمفاهيم التي كانت بمثابة المسلمات لكثير من المجتمعات؛ مما اثر على الواقع المعاش للانسان المعاصر؛ وأحدثت كذلك تغييرات كبرى في نمط واسلوب معيشة الافراد، وخلق كثير من المعضلات الايدلوجية التي ادت الى اختلاط كثير من المفاهيم الثقافية والقيمية والاخلاقية بحيث أصبح ما كان محرماً بالامس مباحاً اليوم والعكس صحيح.

إن تطور وتغير انماط الاتصال سهل من عولمة العالم وزاد من سرعة انتشار الافكار والمعارف بين اجزاء الكون وذلك بسبب تلاشي الحدود وذوبان القيود ، وكان لهذا الامر اثره الخطير على خصوصية الهوية والثقافة للامم والشعوب والتي اصبحت في مهب الريح ؛ تتغير بسرعة وتنبدل بسهولة ، مما خلق ارباكات اجتماعية نقضت مقومات السلم الاهلي والامن الاجتماعي للمجتمعات الانسانية.

لذا تجيء هذه الدراسة لتقف على ما حدث من تغييرات وتطورات أثرت على الهوية والقيم والمبادئ السلمية التي كانت بمثابة الضوابط لحركة المجتمعات الانسانية، ومحاولة فهمها وإدراكها لعنا من خلالها نستطيع أن نساهم في تقديم النصح والارشاد لافراد مجتمعاتنا لتصلح ما خبث منها وتعود الى رشدها.

خطة البحث

أولاً : مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول أهمية وخطورة وسائل الاتصال المعاصرة التي أفرزتها المدنية الحديثة على الثقافة والهوية للإنسان المعاصر والتي جعلتها في مهب الريح ، خاصة اذا ما أدركنا أن منزلة الثقافة من العولمة منزلة الرأس من الجسد، بوصفها تعبيراً عن الهوية المستقلة للمجتمع، حيث أن العولمة تقتضي ذوبان وتلاشي الهويات المستقلة ليصبح العالم واحداً، لذا فهي تهدف إلى تدوير الثقافة المحلية بما تحمله من قيم اجتماعية ودينية وأخلاقية وصهرها في ثقافة واحدة تشكل فيما بعد هوية الانسان المعاصر.

ثانيا : أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يسלט الضوء على قضية خطيرة يجب الانتباه إليها ومعالجتها وتحليلها قبل استفحالها وهي؛ اثر وسائل الإعلام (عامّة) الحديثة على هوية الإنسان العربي ودورها في تشكيل بنيان ثقافته الخاصة، وانعكاسها على سلوكه وتصرفاته.

ثالثاً : أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- لفت انتباه أصحاب الرأي وأهل العلم وأصحاب القرار والمهتمين وخاصة المربين وأولياء الأمور إلى خطورة تأثير وسائل الاتصال على الهوية والثقافية وتغيير المفاهيم للأجيال الحالية والقادمة.
- بيان دور وسائل الاتصال والتواصل الحديثة وتأثيرها في إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي في الحياة الاجتماعية اليومية.
- إلى أي حد استطاعت وسائل الاتصال الحديثة التأثير في القيم والهويات.

رابعاً : منهج البحث:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه الظاهرة حيث تم الرجوع إلى المصادر والمراجع المختلفة المتعلقة بالموضوع وتمت دراستها وتحليلها والاستفادة مما له علاقة بموضوع البحث والدراسة.

خامساً: خطة البحث(هيكل البحث):

تم تقسيم الدراسة الى عدد من المباحث ، وكما يلي:

المبحث الاول: وهو عبارة عن الاطار المفاهيم الذي يحتوي على تعرف وتفصيل لكل المفاهيم الواردة في الدراسة.

المبحث الثاني: وسائل الاتصال الحديثة وأثرها في بناء الثقافات والهويات.

المبحث الثالث: دور وسائل الاتصال الحديثة في تشكيل ثقافة العنف والتطرف.

- النتائج.
- التوصيات.
- قائمة المراجع والمصادر.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي

إن تحديد مفاهيم أي دراسة أو بحث يجعل من اليسير على الباحث الغوص في أعماق الموضوع ، لذا اقتضت ضرورة البحث التعرف على بعض المفاهيم والمصطلحات التي استعملت في ثنايا البحث ومنها:

- الهوية Identity :

تطرق الباحثون والدارسون لموضع الهوية إلى تعريفها بجملة كثيرة ومعاني عديدة وذلك تبعاً للحقل، الذي توظف داخله ، فهناك تعريف من زاوية قانونية وهناك تعريف من منطلق اجتماعي وهناك تعريف آخر من منظور سياسي وهكذا تعددت التعريف واختلف حسب الزاوية التي نظر إليها صاحب التعريف لمفهوم الهوية.

فالتعريف القانوني يرى أن الهوية هي عملية لتمييز الفرد لنفسه عن غيره؛ بمعنى أنها تحديد لحالته الشخصية من السمات، التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض، من حيث الاسم والجنسية والسن والحالة العائلية والمهنة. كما أن الإجراءات الإدارية للدول عادة ما تنص على إثبات صفة الفرد، بمقتضى بطاقة شخصية التي تساعده في معاملاته المختلفة مع الجهات، التي تطالبه بإثبات شخصيته.

أما من الناحية السيكولوجية فالهوية لها مميزات خادعة؛ بحيث قد تكون ذاتية أو موضوعية وقد تكون فردية أو اجتماعية.

بينما يذهب الطرح السوسولوجي؛ إلى ربط الهوية بالثقافة، واعتبار هذه الأخيرة المكون الرئيسي للهوية الاجتماعية لشخص ما أو لمجتمع ما؛ ذلك لكونها كيفية خاصة لرؤية الوجود والحياة، وأسلوباً خاصاً في العيش والسلوك والإحساس والإدراك والتعبير والإبداع. كما أنها ترتبط بالظروف والبيئة الجغرافية ومن هنا يتم الحديث عن (هوية بدوية / هوية ريفية / هوية حضرية) أيضاً؛ ترتبط الهوية بالتطور التاريخي والحضاري للمجتمعات. فمن الصعب، إذن؛ إعطاء مفهوماً محدداً ودقيقاً «للهوية» على اعتبار أنها مرتبطة بأشكال متعددة وغير محدودة من الممارسات الثقافية والاجتماعية¹.

¹ . عبد الرحيم عنبي، وسائل الإعلام الاجتماعية ودورها في تغيير القيم وبناء الهويات الرقمية لدى الشباب الجامعي، بحث منشورة على شبكة الانترنت ، تاريخ: الخميس ١٥ آب (أغسطس) ٢٠١٣.

الهوية إذن؛ من منظور سوسولوجي، تعتبر ملازمة للثقافة الخاصة للمجتمعات، وكذا للوحدات الاجتماعية، التي تنتمي للمجتمع، فالأمر هنا يتعلق إذن بتحديد الهوية والقيام بوصفها انطلاقاً مما هو مشترك (الوراثة / السلالة) ؛ كاللغة والثقافة والدين والارتباط بأرض معينة أو بجغرافية معينة. فالهوية إذن؛ فعل اجتماعي يكمن في تصور الأفراد وليست مجرد معطى، فهي ليست وهما يتعلق بذاتية الفاعلين الاجتماعيين، بل هي مرجعية ثقافية، يستمد منها الأفراد تصوراتهم ومواقفهم.

الهوية إذن هي بناء؛ يتكون ضمن علاقة تضع إحدى المجموعات في مقابل أخرى أو على تماس معها. هذه العملية كذلك؛ تجعل الفرد يميز نفسه عن غيره، بمعنى أنه من خلال الهوية، يمكننا تحديد حالته الشخصية. كما أنها، تتجلى في الشعور بالانتماء إلى الذات وإلى المجتمع ثم إلى الجماعة الصغيرة داخل المجتمع، ثم بوصفه منتبهاً إلى هذه الجماعة أو هذه الفئة الاجتماعية أو القبيلة أو الفخذة أو "الأخص"، أي أننا أمام هويات داخل المجتمع الواحد، هوية كبرى تحدد انتماء الفرد إلى مجتمع كبير، يتميز عن باقي المجتمعات، ثم هويات صغرى بمقتضاها يتم التمييز بين أفراد المجتمع الواحد، حسب الانتماءات الاثنية والاجتماعية².

وهناك من استخدم أسلوباً آخر لبيان هذا المفهوم، حيث قسم الهوية إلى نوعين:

الأول: هوية فردية : وتعتمد أساساً على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر.

الثاني: هوية وطنية أو قومية: و هو مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم و التي تجعلهم يعرفون و يتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى³.

إن طرح الهويات المحلية لا يعني، بتاتا إقصاء للهوية العامة أو الهوية الكبرى للمجتمع، غير أن طبيعة التركيبة الاجتماعية للمجتمع المغربي، وغناه الثقافي واللغوي، تفرض على الباحث الحديث عن الهويات المحلية، فالهوية هي منتج اجتماعي ثقافي تاريخي، يتفرد بها المجتمع الواحد من أجل أن يتميز عن باقي المجتمعات.

وأشار بعض الباحثين إلى أن الهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه شخصية الفرد والمجتمع , وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه , وكذلك هوية المجتمع هي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة⁴.

² . عبد الرحيم عنبي، مصدر سابق.

³ . انظر: أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية – الحقائق و المغالطات، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1995، ص 23.

فالهوية ببساطة عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي ، طالما هي مركب من عناصر ، فهي بالضرورة متغيرة، في الوقت ذاته تتميز فيه بثبات معين، فالهوية منظور لها سوسيوولوجيا متغير من المتغيرات ومن هنا ينشأ مفهوم ، أزمة الهوية ، نتيجة تعرضها لمتغيرات. فالأزمة ليست في الهوية ذاتها بل في العقل وقدرته على استيعاب المتغيرات.⁵

- الاتصال Communication

الاتصال كلمة مشتقة في لفظها الانكليزي من الأصل اللاتيني Communes، أي Common ومعناها مشترك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن نحاول أن نقيم "رسالة مشتركة" Commonness مع شخص أو جماعة أخرى، أي أننا نحاول أن "نشترك سويا في معلومات أو أفكار أو مواقف حادة"⁶.

والاتصال في علم الاجتماع يعني "تبادل الأحوال الذاتية ونشرها بين الأفراد مثل الأفكار والعواطف والمعتقدات عن طريق اللغة التي تعد أداة الاتصال الرئيسية، فضلا عن المحاكاة والإيحاء"⁷. إذن هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي، كأحد الظواهر الاجتماعية في حياة الناس القائمة أساسا على التأثير في المواقف والقيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك وأنماط التفكير، وبناء تصور اجتماعي عن الحياة الاجتماعية⁸.

- وسائل الاتصال الحديثة:

وسائل الاتصال الحديثة هي تلك الأدوات الطرائق والوسائل التي تسمح للفرد ان يلتقي مع غيره متجاوزا لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية⁹.

وتشير أيضا إلى: "الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بالالتقاء فيما بينهم ضمن فضاءات معينة دون أن يروا بعضهم البعض"¹⁰.

وتضع كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفاً اجرائياً للإعلام الجديد بأنه: "انواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن

⁴ . من محاضرة للدكتور فهد بن عبد العزيز السنيدي.

⁵ . للمزيد انظر: زيز مشواط: إشكالية الهوية في العلوم الإنسانية، مآزق الإشكال وقلق المفهوم، جريدة المنعطف، العدد 2377، 28 أبريل 2005، ص18(3). عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، موسوعة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص2.

⁶ . احمد بدر، الاتصال بالجمهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص55.

⁷ . إبراهيم مذكور ، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص8.

⁸ . انظر: احمد جاعد الدليمي ، علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيوولوجية مستقبلية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص49.

⁹ . عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات"، عمان، دار الشروق، 2008م، ص17.

¹⁰ . انظر مقالة على الموقع الالكتروني:

استخدام الكمبيوتر كألية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته" ¹¹.

الإعلام هو أداة تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وهو الذي يكون في المجتمع المواقف والاتجاهات ويغير القناعات والسلوك ¹².

- مفهوم القيم:

القيم؛ هي كل الأحكام والعادات المكتسبة من خلال التنشئة الاجتماعية، التي تتم داخل مؤسسات المجتمع، من الأسرة والمدرسة وغيرها. كما أنها؛ هي التي تحدد وتوجه سلوك الفرد وتفكيره وبناء توجهاته السياسية والفكرية.

تؤثر القيم كذلك في عمليات التعلم وبناء الشخصية؛ كما تساهم بشكل كبير في بناء مواقف الفرد من المحيط والقضايا التي تعترضه في حياته. تختلف هذه القيم من مجتمع لآخر، بل من مجتمع محلي لآخر، بحيث نميز بين القيم داخل نفس المجتمع. أيضا؛ كل المؤسسات تساهم بدورها في بناء قم من أجل ضمان السير العادي لها. ويمكن التمييز كذلك في هذا الباب: بين القيم المعيارية والقيم الموضوعية ¹³.

- الهوية الثقافية:

جاء في بعض المعاجم ومنها معجم المفاهيم الفلسفية بان الهوية الثقافية هي : " إنها ميزة ما هو متمائل، سواء تعلق الأمر بعلاقة الاستمرارية التي يقيمها فرد مع ذاته" ¹⁴.

ولقد أشار تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام سنة 1987 بعنوان إستراتيجية تطوير التربية العربية عن الذاتية الثقافية، أنها تعني "بأننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية، أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها عن غيرها من الثقافات" ¹⁵.

¹¹ .عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م، ص9.

¹² . من محاضرة للدكتور فهد بن عبد العزيز السنيدي.

¹³ . عبد الرحيم عني، مصدر سابق.

¹⁴ . جورج لارين: الإيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، 2002، ص268.

¹⁵ . انظر التقرير على الموقع الإلكتروني للمنظمة. <http://www.alecso.org/site/>

- الثقافة:

الثقافة هي التراث الفكري الذي تتميز به جميع الأمم عن بعضها البعض، حيث تختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع لمجتمع آخر، وذلك للارتباط الوثيق الذي يربط بين واقع الأمة وتراثها الفكري والحضاري، كما أن الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمة، وكما أنها تتراجع مع ذلك التخلف الذي يصيب تلك الأمة، وهي التي تعبر عن مكانتها الحضارية بالثقافة التي وصلت إليها.¹⁶

- العولمة الثقافية:

"وتعني تعميم ثقافة واحدة وسيادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات، ومحاولة إحلال هذه الثقافة الواحدة محل الثقافات الأخرى، بمضمون تلك الثقافة ومحتواها من أساليب التفكير، والتعبير والتذوق الفني، وأنماط السلوك والتعامل والنظرة إلى الحياة والكون".¹⁷

وعلى المستوى الثقافي هي تنميط العالم، وجعله واحدا في السلوك والذوق والعادات من دون اعتبار أو تقدير لثقافات الشعوب وخصوصيتها، وبالاعتماد على الثقافة يتم تسويق العولمة.¹⁸

وهذا يعني ان الهوية الثقافية تختلف من امة إلى أخرى ومن ، ومن شعب، إلى شعب، ومن عقيدة إلى أخرى كما أنها قد تختلف من مرحلة زمنية إلى أخرى.

¹⁶ . فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية -1996- 38 الثقافة- الموسوعة العربية العالمية -مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

¹⁷ . ناصر الدين الأسد ، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، ع16، 1999، ص124.

¹⁸ . رضا محمد الداوق، العولمة تداعياتها وآثارها وسبل مواجهتها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص52.

المبحث الثاني

وسائل الاتصال الحديثة وأثرها في بناء الثقافات والهويات

كانت وما زالت وسائل الإعلام والتواصل هي الذراع الرئيس في تكوين وبناء الهويات وتشكيل الثقافات على مر العصور وبشكل نسبي يختلف باختلاف ظروف كثيرة يضيق المقام بذكرها، وقد حظيت مسألة تأثير وسائل الإعلام على المجتمع وتركيبته الثقافية باهتمام الكثير من المنظرين البارزين، وشاركهم الحوار أيضا أولئك الذين يرتبطون بوسائل الإعلام بشكل من الأشكال. ولا يختلف اثنان على تأثير وسائل الإعلام، غير أن مثل هذا التأثير ينجم عن صيغ مختلفة ودقيقة.

تعدّ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مصدراً مهماً من مصادر التوجيه والتثقيف في أي مجتمع، وهي ذات تأثير كبير في جماهير المتلقين المختلفين، المتباينين في اهتماماتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والأكاديمية والاجتماعية.

وهذا ما يكسبها أهميتها في عملية بناء المجتمعات، ويمكن الزعم بأنها احد العناصر الأساسية في المساهمة في تشكيل ملامح المجتمعات. وإذا كان دور وسائل الإعلام في أي بيئة مجتمعية يتحدد بالأثر الذي تستطيع أن تحدثه فيها، فمن الممكن أن نقسم وسائل الإعلام باعتبار تأثيرها في المجتمعات قسمين: قسم مؤثر وفاعل، وقسم غير مؤثر وغير فاعل.

كما يمكن تقريع القسم الأول منهما إلى اتجاهين: سلبي وإيجابي، وذلك باعتبار الهدف الذي يسعى إليه القائمون على كل اتجاه، ولأن الإيجابية والسلبية من الأحكام النسبية، ليست ثابتة أو محددة.

إن الضابط الذي يُستخدم هذين الحكمين على أساسه هنا هو ضابط الانسجام مع متطلبات الهوية العربية الإسلامية في ما يُقدّم إعلامياً عبر القنوات المختلفة، من حيث طبيعة المادة المقدمة، وما ترسخه من قيم فكرية وثقافية واجتماعية¹⁹.

"وتعدّ وسائل الاتصال عنصراً أساسياً في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغيير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة "الحتمية"، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدي الثقافة اللامادية، كالايدولوجيات السياسية والاجتماعية إلى تغيير واسع في حياة المجتمع، أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغييرات "التغيير المادي واللامادي"، مما أدى إلى إطلاق النظرة النسبية". ولا يمكن القول إن عوامل بناء الهويات والثقافات يمكن تحليلها بعامل وحيد، إذ يبين الواقع تساند عوامل عدة، "اقتصادية، وتعليمية، وأيدي عاملة، وجغرافية، وتكنولوجيا، وإعلام مسؤول، وايدولوجيا موجهة"، تتفاعل هذه العوامل لإحداث التغيير.

¹⁹ . انظر: فاطمة البريكي ، صحيفة البيان الإماراتية-7-4-2006.

لذلك يصعب تحديد العامل الفاصل في التغيير، بشكل ديناميكي عبر الزمن. "ولكن نستطيع القول أن الثقافة فقدت السيطرة على المجال التقني، وتحولت إلى أداة تطوع ما تفرضه هذه التكنولوجيا من متطلبات. ويبرز ذلك في تقليد "الحتمية التقنية" ثم لاحقاً في "الحتمية الإعلامية".
يُعدّ التحول عبر التطور التكنولوجي هو جوهر الإعلام، وما يبدو اليوم جديداً يصبح قديماً بظهور تقنية جديدة، ألم يكن الإعلام جديداً مع ظهور الطباعة، والصحافة، والإذاعة، والتلفزيون كل ذلك لأن طبيعة التحول التي تقود إليها التقنية، في بعدها العلمي والإيديولوجي، تقتضي النظر في أمر ما يسميه ماكلوهان بالحتمية التكنولوجية. إذن مفهوم الإعلام الجديد هو في واقع الأمر يمثل مرحلة انتقالية من ناحية الوسائل²⁰.

مكونات وسائل الاتصال الحديثة:

مع تطور الصناعات التقنية تعددت وتنوعت أشكال وأنواع وسائل الاتصال والتواصل الحديثة، وكان أبرز اختراع في القرن الماضي في مجال التواصل هو اختراع التلفاز وكذلك الهاتف ولكن الاختراع الذي أحدث ثورة في مجال الاتصال هو اختراع الانترنت، حيث كانت من أهم التقنيات الحديثة المؤثرة في ثقافة الإنسان، كما ويعتبر اختراع الحاسوب أيضاً من الاختراعات الحيوية التي وظفت التكنولوجيا الحديثة لإجراء عمليات الاتصال والتواصل بين البشر.

مما لا شك فيه أن اختراع التلفاز جعل منه المؤسسة الثقافية الأكثر فعالية في التأثير على الثقافات والقيم من دون منازع، وإن فعالية هذا النظام الجديد لإنتاج الرموز والقيم وتوزيعها يكمن في المادة التي يشتغل بها، وهي الصورة، بمادتها المليئة بالرموز والدلالات والخطابات الخاصة والرسائل ذات المغزى، حيث أصبحت عبارة عن شكل يتقدم للمستهلك في قالب جمالي يستوفي الشروط التي تجعله على درجة كبيرة من الجاذبية والإغراء²¹. وإن علاقة الثقافة بالتلفاز علاقة وثيقة يتبادل فيها الطرفان التأثير والتأثير، علاقة تثير دائماً الجدل والاختلاف²².

وساهم اختراع الحاسوب وتوظيفه لاستيعاب الشبكات المعلوماتية (الانترنت) إلى بروز الثقافة التفاعلية، والتي كان لها أثر كبير على شكل الثقافة وليس محتواها بالضرورة، وهذا يبرز مدى التفاعل الجدلي بين الثقافة ووسائل الاتصال، فالثقافة تستوعب وسائل الاتصال²³.

²⁰ عبد الله زين الحيدري، "الإعلام الجديد: النظام والفوضى"، أبحاث المؤتمر الدولي، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد"، جامعة البحرين، من 7-9 إبريل 2009م، ص128.

²¹ عبد الله بلقرين، النظام الإعلامي السمعي - البصري الغربي والاختراق الثقافي في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص230.

²² عفاف طباله حول الدور الثقافي للتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع87، 1995، ص156.

²³ عبد الرحمن عزي، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع295، 2003، ص15.

وكان لاختراع شبكة الانترنت دور كبير في بناء منظومة جديدة من القيم الثقافية التي وزعت على كل أرجاء العالم منطلقاً من البلدان التي اخترعت هذه الأداة مما فرض نمطاً واحداً من الثقافة وهو النمط الغربي أي تم عولمة الثقافة ، وكان الانتشار سريعاً وذلك بسبب وجود الملايين من أجهزة الكمبيوتر المنتشرة في مختلف أنحاء العالم تتحدث مع بعضها البعض، بمعنى أن هناك ملايين من أجهزة الكمبيوتر تتبادل المعلومات فيما بينها عبر ما يعرف بالنسيج العالمي متعدد النطاق (World Wide Web (www)²⁴.

ساهم وجود وانتشار شبكة الانترنت الى خلق نوع جديد من الحوارية المتأصلة في طبيعتها الاجتماعية. ويزخر عصرنا الحاضر بأدوات متعددة للاتصال بلغت ذروة الرقي والتطور، من البث الفضائي، وشبكة الانترنت التي أصبحت متاحة أمام الجميع بإمكانياتها غير المتناهية⁽²⁵⁾.

لقد ساهمت هذه الأدوات وغيرها بنشر ثقافة جديدة وقيم مختلفة في العام تركت أثراً واضحاً على ثقافة الشعوب وقيمها ولعل من ابرز الآثار التي تتركها وسائل الاتصال الحديثة على الثقافات والقيم ما يمكن إيجازه بما يلي:

1. إن عملية انتقال المعلومة عبر الانترنت تنقل معها قيم وثقافة البلد المصدّر للمعلومة والتكنولوجية في آن واحد، وينشأ عن هذه الحتمية التكنولوجية حالة ما يسمى بالصدمة الالكترونية التي سرعان ما تتحول بالبلدان المستوردة من الانبهار بالواقع الافتراضي إلى الاصطدام بالواقع الحقيقي للبلد المصدّر.
2. تعمل وسائل الاتصال الحديثة على تطوير هوية رقمية كونية افتراضية نتيجة الكثافة الديموغرافية المتفاعلة داخل الفضاء الرقمي وتنوع المشاركين واختلاف مستوياتهم ومرجعياتهم الثقافية وتوجهاتهم السياسية وكذا اهتماماتهم، مما يجعل كثير من أفراد المجتمع يعيشون هذه الازدواجية وخاصة إذا كان هناك غياب لهوية المجتمع الكبرى، إذ يتفاعلون مع هويات كونية ويتقاسمون همومها ومشكلاتها، مما ينعكس على ثقافتهم وقيمهم المحلية التي يؤمنون بها.
3. لقد ساهمت الهويات الرقمية، بشكل كبير في تعطيل الروابط الاجتماعية وبناء روابط بديلة عن تلك الأصلية، حيث أن الحدود التي تضعها الهويات الرقمية، تشكل جداراً قوياً بين الفرد وبين أقرب الأفراد إليه، أي أفراد الأسرة والأقارب ثم الجيران، بل حتى الأفراد الذين يتفاعل معهم، يكون تفاعله محكوماً بوجود الآلة، إنها هوية ذات حدود قوية، فالأفراد يتفاعلون من خلال قضايا متعددة ومتنوعة. لكن، كل منهم في عالمهم الرقمي الخاص به، مما ساهم بقطع الأواصر وتفسخ العلاقات الاجتماعية في المجتمع المعاصر وبالتالي أسهم في بناء ثقافة هشّة افتراضية.

²⁴. عبد الله عمر الفراء، تكنولوجيا التعليم والاتصال، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطابع الأرز، الأردن، 1999، ص373.

²⁵. عبد الرشيد عبد الحافظ ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص91.

4. وجود فجوة الأجيال ساهم بقطع المجتمع إلى نصفين فهناك الجيل المتمتع بفهم وإدراك واستخدام وسائل الاتصال والتوصل الحديثة وهناك الجيل الأقل معرفة وإدراكا لهذه الأدوات، مما ساهم بخلق التفاوت داخل المجتمع الواحد وبالتالي ازدواجية الثقافة والقيم في البناء الاجتماعي الواحد مما خلق نوعا من التصادم الفكري والاجتماعي.

5. ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في وجود هوية وثقافة طبقية، حيث أن التفاوت بامتلاك أدوات التكنولوجيا الحديثة بين الأفراد داخل المجتمع؛ ساهم باختلاف قدرتهم على بناء ثقافة واحدة، وهذا بدوره خلق ثقافات متعددة ومتنوعة ومتفاوتة.

6. ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في إضعاف قدرة السلطة (سلطة الدولة والأسرة والمدرسة ودور العبادة....) على الرقابة وبالتالي اضعف دورها في بناء الهوية التي تريدها، مما أدى إلى إضعاف الهوية الكبرى للمجتمع. مما أعطى الغلبة للهويات الرقمية وبالتالي تفكك المجتمع كليا.

إن وسائل الاتصال الحديثة أدت إلى بناء ثقافة جديدة (معوّمة) تركت وهدفت إلى تحقيق عدد من الغايات غير النبيلة على أفراد المجتمعات العربية والإسلامية ومنها:

1. سلخ النشء الجديد من قيمه وعاداته الأصيلة النابعة من ثقافته الحضارية الأصيلة المستمدة من رسالة الإسلام .

2. غرس القيم والمفاهيم والأنماط الغربية التي تتنافى مع خصوصيات مجتمعاتنا العربي والإسلامية في نفوس الناس مثل ، قيم اللباس والطعام واللهجات واللغات الخ .

3. ترسيخ ثقافة الاستهلاك التي تهدف إلى استنزاف الطاقات المادية والمعنوية والأخلاقية لشباب الأمة ، والتزام للحصول على كل ما هو قادم من وراء المحيط .

4. إن تطور وسائل التواصل الحديثة وسهولة تداولها من قبل كل الناس تقريبا قد ساهم في دمج الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة وبالتالي التأثير المباشر على حقوق الأفراد والجماعات في التمتع بثقافتهم الخاصة بهم ، واثّر ذلك على خصوصيات الشعوب الثقافية وراثتهم الحضاري²⁶.

5. إشغال الجيل والنشء بثقافة الاتصال والتراسل التي يتم فيها استخدام الوسائل التقنية الحديثة كشبكة الإنترنت والهواتف الخليوية والمحطات الفضائية ، وزرع العشق لهذه التقنيات في نفوسهم مما يدفعهم إلى إضاعة ساعات طويلة من أوقاتهم أمام هذه الوسائل ، إضافة إلى أشغال عقولهم وتفكيرهم بما يشاهدون ويسمعون فيها ، مما يخلق جيلا يكره العمل ويحب الجلوس والراحة .

6. وسائل التكنولوجيا الحديثة تهدف إلى إبعاد الشباب عن المطالعة والدراسة والبحث العلمي والنشاط الفكري والاكتفاء بأخذ ما يريدون كوجبات جاهزة من خلال شاشات الصوت والصوره والتي سماها بعض الباحثين (معلبات ثقافية) .

²⁶ . مصطفى عبد الله الكفري ، العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، الموقع الإلكتروني WWW.REZGAR.COM.

- الرئيس الأميركي جورج بوش قال بعد انتهاء حرب الخليج الثانية : " إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأميركية وأنماط العيش والسلوك الأميركي" المصدر السابق.

7. الهاء آلامه عن التفكير بقضاياها المصيرية وأشغالها بقضايا دينية كالتأنيبية والقبلية والفنوي وحياء الانتماءات العرقية الضيقة في آلامه .
 8. ترسيخ العقلية المادية البحتة في المواد الثقافية المطروحة والبعد عن الأخلاقيات وجعلها علمانية خالصة ، وهذا يجعل المتلقي لهذه الثقافة يصاب بهوس التجبر والتكبر والإلحادية وهذا ما يتنافى مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها .
 9. تشجيع قيم التفات الطبقى من خلال التشجيع على تحقيق الأرباح والمكاسب المادية من خلال المسابقات والمضاربات والسمسرة وتقديم الامتيازات لدخول في مثل هذه الأمور ، كل ذلك يتم تقديمه بصورة " ثقافة مجتمعية " جديدة من خلال وسائل الإعلام المختلفة المتنوعة (Multi Media) .
 10. إن تطور شبكات الاتصال والتواصل وشيوع استعمالها ساهم في اختراق حواجز الثقافات والدخول إلى أعماقها وزرع قيم ومبادئ ومفاهيم جيدة – غربية على الأغلب – في أذهان الناس مما أحدث شروخا اجتماعية وقيمية تؤدي إلى تصدع المجتمع والفرد في ذات الوقت وتزعزع حقوق الجماعة والفرد في حرية التعبير والرأي عن ذاتهم وأفكارهم بلغتهم الخاصة بهم ،ناهيك عن دورها في خلق ثقافة عالمية فوق قطرية وفوق لغوية وفوق ثقافية²⁷ .
 11. بث المضامين اللاخلاقية في معظم المواد الثقافية التي يتلقاها الناس في أنحاء العالم حيث تتضمن مواد غير لائقة أخلاقيا بالإنسان ، كالقتل والجنس والتدخين وتعاطي المخدرات وأساليب النصب والاحتيال والإجرام وكافة أشكال الإباحية الخ مما يؤثر وبشكل مباشر على نفسية الإنسان المتلقي لها وينعكس ذلك على سلوكياته وتصرفاته وتحيله إلى مجرم شاذ عالة على الإنسانية وهذا فيه تعد صارخ على حق الإنسان في الحياة المحترمة الكريمة
- هذا كله ناجم عن ما سمي بالعلومة الثقافية التي تهدف من خلال سياسة الاختراق الثقافي إلى دخول العقول والأنفس من أجل سلب الوعي والإدراك منها لأنه بعد ذلك يصبح كل شيء هين وسهل ، وهذا الاختراق خلق نوعا من الإرباك والفوضى الثقافية العالمية ووجد هوة واسعة بين الثقافات والحضارات مما خلق مفهوم (صدام الحضارات) وعزز وجوده بدلا من (حوار الحضارات)²⁸،

²⁷. حيدر فريجات ، العولمة ، الغابة أم الأشجار التي تكونها ، جريدة الرأي ، العدد 13194، تاريخ 2006/11/13.

²⁸. يشير الدكتور سعيد التل إلى أن: الحضارة الإسلامية تكاد تتطابق مع الحضارة الغربية بحكم مرتكزات رئيسية واحدة مشتركة تقوم عليها وتجمعها ، ويشير الى ان " الاختلاف بينهما ثانوي بولغ فيه كثيرا من قبل بعض أعداء الحضارتين ومن بعض المغرضين وبعض الجهلة من المنتمين لهاتين الحضارتين ، " ويؤكد أيضا أن " الحضارات العالمية هي حضارات إنسانية تؤكد فيما تؤكد المحبة والتعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وما يطلق عليه اصطلاح (صراع الحضارات) ما هو إلا صراع بين بعض المنتمين إلى بعض الحضارات لأهداف غير إنسانية والحضارات منها براء،" ويرى الباحث بان " مرتكزات جميع الحضارات العالمية تؤكد فيما تؤكد أن الإنسان اخو الإنسان ، مهما كانت الحضارة التي ينتمي إليها ومهما كان لونه او جنسه او عرقه ، ومن هذا المنطلق فأسلوب الحوار وليس الصراع هو المنهج الذي يجب ان يحكم العلاقة بين بني البشر ."سعيد التل ، الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، ح 1 ، نقلا عن الرأي الأردنية ، العدد 12975، تاريخ 2006/4/5.

الذي أصبحت تنادي به الأمم والشعوب من أجل التلاحق الحضاري العالمي الذي ينتج فهما واضحا تجاه الطرف الآخر مما يؤدي بالجميع إلى احترام خصوصيات بعضهم البعض بما يعود على البشرية بالسعادة والعيش بخير وسلام .

المبحث الثالث

دور وسائل الاتصال الحديثة في تشكيل ثقافة العنف والتطرف

ساهم وجود الهويات الرقمية التي إتاحتها وسائل التكنولوجيا الحديثة إلى غياب أو تقلص حدود الهوية الجغرافية ، وخاصة أن هذه الأخيرة لها تبعيات وينجم عنها مشكلات. لكن في حالة الهويات الرقمية، نحن في مجتمع تكون الغلبة فيه لمن ينتج البرامج ولمن يسيطر ثقافيا واقتصاديا. كما تتحكم فيها أشكال تكنولوجية متنوعة. مما يحول العديد من أفراد المجتمع الرقمي، إلى مجرد كائنات تستهلك ثقافة الآخر، وبالتالي يكون التفاعل في اتجاه أحادي، الشيء الذي يجعل الأطراف المهيمنة هي المتحكمة في حدود الهوية الرقمية.

صحيح، أن هناك صعوبة اليوم في تحديد الهوية، نظرا لتغيرها المستمر تبعا لتحولات البنية الداخلية للمجتمعات على مستوى العالم، سواء في علاقاته مع الخارج ومع التكنولوجيا أو على مستوى ما ينتج عن ذلك؛ من أزمات وصددمات، قد تؤدي إلى اللجوء إلى هويات جديدة، هويات قطرية أو رقمية، سواء منها العرقية أو الطائفية أو الدينية.

إن العصر الحالي؛ عصر تغير في هويات الأفراد والفئات الاجتماعية وحتى في هويات الشعوب بأكملها أو جزء منها. والسبب في ذلك هو غزو التكنولوجيا للعقول والقلوب مما تسبب في سرعة تبدل هويات الأفراد وتغيرها وسرعة التأثير فيها.

وكما يعلم الجميع بان الدولة ومنذ ظهورها أصبحت هي المسؤولة عن الهوية بل هي شأن من شؤونها؛ بحيث هي، التي تدبر قضية الهوية وتضع لها القواعد والضوابط، وفي هذا الإطار ينبغي للدولة أن تكون صارمة في ضبط الهوية والحفاظ على كل العناصر المكونة لها. غير أن الهوية الرقمية، خرجت عن هذه الرقابة، التي تفرضها الدولة، وبدأت تؤسس لمجموعة من الطقوس التواصلية، سواء على مستوى اللغة أو على مستوى المعتقد، هكذا انفلتت الهوية الرقمية من مراقبة الدولة ومن الضوابط، التي تضعها لضبط الهوية، واسبب هو سرعة التغير التي فرضتها وسائل الهوية الرقمية ، وفي مجال الهوية الدينية تشير كثير من الدراسات ان اغلب الأفراد اليوم يتعلمون الدين بل يقتنعون بأفكار دينية من خلال التواصل عن طريق الفيسبوك، مما جعل الدين ينفلت من مراقبة مؤسسة العلماء والمسجد ومراقبة الدولة، ليصبح شأنا فرديا يناقش مع أفراد ينتمون إلى مذاهب إسلامية مختلفة وأحيانا يناقش الدين مع أفراد من توجهات دينية أخرى.

حيث أشارت بعض الدراسات الحديثة أن نسبة 33% من الشباب الذين استخدموا تكنولوجيا الاتصال لمدة تفوق ستة سنوات، تعرفوا من خلالها على مجموعة من الأفراد ينتمون إلى مرجعيات مختلفة. كما اقتنعوا بأفكار عدة من خلال هذا التواصل.

كما أشارت العديد من الدراسات والبحوث الميدانية إلى أن عملية نشر معلومات وحقائق بشكل متواصل ومتكرر في وسائل الإعلام يؤدي الي جعلها مسلما بها لدي الأفراد وان كانت غير حقيقية فنجد العديد من المقولات المنشورة منسوبة لغير أصحابها بالإضافة لنقلها بلغة غير سليمة وتغيير محتواها فيجد المتصفح نفسه غير قادر على تمييز الحقيقة ، بالإضافة إلى أنها مجال خصب لتداول الإشاعات والأخبار الكاذبة وأحيانا ما يتم ذلك بشكل مقصود ومدروس لتحقيق نتيجة معينة ونشر معلومات خاطئة أو تجنيد الممكن من المتصفحين لتبني فكر متطرف او جذبهم للانضمام لجماعات إرهابية للقيام بأعمال عدائية ضد بلادهم او مجتمعاتهم .

لقد عملت وسائل التواصل الحديثة على نشر القيم الدينية المختلفة والمتناقضة والمضللة، مما جعل الشباب في حيرة من أمرهم وجعلهم في حال فقدان للهوية الدينية مما سهل عملية اغتصاب عقولهم وسهولة جرها نحو الهوية التي يريدها أعداء الإنسانية أو المتطرفين الذين يهدفون إلى تدمير العقول والأفكار وتخريب البلاد وقتل العباد ونشر الظلال والعنف والإرهاب في المجتمعات وخاصة العربية والإسلامية منها.

ومن القضايا الكبرى التي أدت إلى زعزعه الهوية الدينية لدى الشباب هي الفوضى الكبيرة في الإفتاء عبر المواقع الالكترونية المختلفة والتي تعزز وتساعد الترويج للأفكار المتطرفة دينيا والتي تلقي قبولا لدي الكثير من غير المتقنين دينيا ويؤدي بهم إلى الدخول في جماعات تنتهج نهج بعيدة تماما عن مناهج الأديان يترتب على ذلك سلوكيات عدوانية وعمليات إرهابية ترتكب بدعوي الدين وما يترتب عليها من إزهاق للأرواح وتدمير للبنية التحتية الوطنية وإحداث انقسام في المجتمع وإذكاء النزعات الطائفية ، وتقوم الجماعات المتطرفة باستغلال ساذجة المتصفحين لتلك المواقع في تجنيدهم لارتكاب الأعمال الإرهابية والتفجيرات الانتحارية بدعوي إقامة الدين والجهاد في سبيل الله .

لقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي اداة يستخدمها صناع ثقافة التطرف والعنف نظرا لما تتيحه لهم من قدرة على التواصل مع الآخرين وبخاصة من فئة الشباب عبر العالم لبت أفكارهم بطرق مدروسة بشكل دقيق لإقناع هؤلاء الشباب بذلك الفكر المتطرف سواء من خلال الدين او المبادئ التي يروجون لها او الأفكار المتطرفة التي تتسم بالعنف في منهجها وتستغل اندفاع وطاقت الشباب ورغبتهم في الوصول للفاضل وعدم إمامهم بتلك الأفكار ومعرفتهم لهويتها في تضليلهم واجتذابهم للإيمان بها ومن ثم جعلهم عناصر فاعلة في تنفيذ عملياتهم الإرهابية كل في وطنه وهو ما يتيح لهم انتشارا واسع النطاق في كل العالم بالإضافة لعدم قدرة الأجهزة الأمنية على رصد تلك العناصر التي يتم تجنيدها عبر الانترنت حيث لا يتم التعرف عليها إلا عندما يقومون بارتكاب عملياتهم الإجرامية.

والقضية الرئيسية في علاج نشر الهوية الدينية الرقمية هو ان تعمل الدول العربية والاسلامية اليوم وحتى تتجنب ازدواج الهوية لدى الشباب هو العمل على تنمية الهويات المحلية وعدم إقصائها من المشهد السياسي والإعلامي والثقافي، وذلك بهدف توحيد الهوية الوطنية ، من خلال الاعتراف بكل العناصر الثقافية المكونة للمجتمع، أي قبول التعددية الثقافية في اطار الهوية الكبرى الجامعة مما يفوت الفرصة على أعداء الإنسانية نشر أفكارهم الدينية والثقافية المختلفة والتلاعب بعقول الشباب.

والسبب في ذلك ان عملية إقصاء الهويات الصغرى سوف يفتح المجال أمام الشباب للهروب نحو الهويات البديلة والتي تأتي الهوية الرقمية في مقدماتها. كما يولد ردات فعل عنيفة قد تؤدي إلى اللجوء إلى العنف وبالتالي يتحول العنف إلى ثقافة وفكر يهيمن على عقول الشباب.

لذا أصبح من الضرورة - في ظل هذا الواقع- على الدولة الحديثة اليوم، أن تحمي الهويات الصغرى، لأن إقصاءها سيولد العنف. كما أنه سيؤدي إلى إضعاف الهوية الكبرى للمجتمع. هذا الوضع سيعطي الغلبة للهويات الرقمية وبالتالي تفكك المجتمع كليا. إن أي إقصاء للهويات الصغرى سيؤدي إلى تنامي المطالبة بالهوية. وبالتالي يخلق لصراع الهوياتي، الذي أصبح يظهر بين الفينة والأخرى في العديد من المرافق والمؤسسات كمؤسسة المدرسة والجامعة.

لذا فالحل هو في تجنب إقصاء الهويات لأنه يفتح الباب أمام تنامي هويات مختلفة أبرزها الهوية الرقمية الدينية إن صح التعبير.

دور وسائل التواصل الحديثة في خلق العنف والتطرف:

رغم الفوائد العظمى لوسائل الاتصال والتواصل الحديثة الا أنها لعبت دورا كبيرا في بناء وتشكيل هوية التطرف وثقافة العنف لدى الأجيال وخاصة في مجال الأمن الفكري. يعد مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم التي ظهرت مؤخرا مع انتشار استخدام الانترنت حيث أن تعرض الأفراد للرسائل الإعلامية السلبية التي يتم بثها من خلال تلك المواقع والتي يتم إعدادها بواسطة أفراد من ثقافات مختلفة تماما عن ثقافة المتلقي أدت الى التأثير بشكل سلبي في فكرة وقناعاته وقيمة مما قد يولد لديه أفكارا متطرفة غريبة على مجتمعة وثقافته ودينه لذا نقول ان هذه الجوانب ذات ارتباط وثيق بالأمن الفكري للناس.

وإذا كان الغزو الثقافي في الماضي يتم من خلال الفضائيات ووسائل الإعلام التقليدية فان المسألة قد تحولت في الوقت الراهن إلى مواقع التواصل الاجتماعي لما لها من تأثير فعال على تغيير التوجهات الثقافية والقيمية والسلوكية والفكرية لأفراد مجتمع المتصفح لها وهو ما اثر بشكل خطير على الأمن الفكري لأفراد المجتمع.

فالاهتمام البالغ الذي تحظى به هذه المواقع قد أصبح مسألة تهدد الأمن الفكري لأفراد المجتمعات المختلفة ليس في بلادنا فحسب وإنما في كل بلدان العالم وهو ما يجعل التحولات السلوكية التي قد تحدث في بلد ما تؤثر بشكل قد يكون متنامي على بلدان أخرى بحسب الاستعداد الفكري والنفسي لأفراد ذلك المجتمع وبخاصة الشباب منهم لسرعة تأثرهم بالأحداث واندفاعهم نحو الجديد ، كما ان ضعف الثقافة الدينية والحصانة الثقافية والفكرية ونقص الوعي وبخاصة لدي المراهقين وهم اغلب مستخدمي تلك المواقع يجعل تأثير ما يتم تداوله من خلالها اشد تأثيرا وضررا لذا فان تأثير تلك المواقع على الأمن الفكري لأفراد المجتمع محل اهتمام ومتابعة.²⁹

كما أن ما تقوم به تلك المواقع من ترويج للمفاهيم والأفكار الخاطئة يمكننا عقب الدراسة وتحليل نتائجها التأكيد على ان المحتوى المعلوماتي الذي يتم تداوله من خلال تلك المواقع قد ادي لاختلاط المفاهيم لدي المتلقين وتداخل العديد من المدلولات للعديد من المصطلحات الثابتة في يقين المجتمعات المختلفة والمتوارثة جيلا بعد جيل وتبني أفكار وقيم مختلفة تماما عن تلك المتوارثة في العديد من المجتمعات وخاصة انه في غالب الأحوال يتم ذلك مسابرة لجموع متصفح تلك المواقع ومن ثم يصبح توجيه الفكر والثقافة من خلال عناصر ذات أصول وثقافات مغايرة لمجتمعنا مما أضفى على أفراد المجتمع قيما جديدة سلبية في معظم الأحوال ، ودون الخوض في مضمون تلك الأفكار والقيم التي يتم بلورتها حاليا وفقا للما هو جاري في مجتمع تلك المواقع فان مستخدمي تلك المواقع يتلقونها ويقتنعون بها دون تفكير او دراسة فيتم تقبلها كحقائق بسبب كثرة تداولها وشيوعها.

ومن نتائج تداول وتناقل الأفكار والمفاهيم المغلوطة بين الأفراد من خلال مواقع التواصل الاجتماعي اختلاط وتداخل المفاهيم بين متصفح تلك المواقع حيث يتم استخدام العديد من المصطلحات والمدلولات دون معرفة معناها الحقيقي، وسبب استخدامها حيث يتم إضفاء إطار مطاط لتلك المصطلحات فيتم تفسيرها واستخدامها وفقا لأيديولوجيات معينة لتحقيق غايات معينة تغذي النزعات الطائفية والفكر المتطرف كالجهد في بلاد الإسلام وغيرها من الأفكار الهدامة للمجتمعات.³⁰

وهذا المحتوى الإلكتروني الذي يتم بثه من خلال تلك المواقع يمكن ان يشكل تهديد لأمن دول والأشخاص وبخاصة الدردشة الإلكترونية والتي يمكن من خلالها ان يتم تبادل المعلومات الماسة بالأمن القومي وتجنيد الشباب للعمل ضمن الخلايا الارهابية والتنظيمات المتطرفة التي تعمل لحساب قوي معادية تستهدف امن الوطن واستقراره ، ويتم تجنيد الشباب وإغواؤهم عن طريق المنتديات وصفحات التواصل عبر الفيس بوك وتويتر وهو ما يشكل تهديدا كبيرا خاصة بالنسبة للعاملين في الهيئات الحيوية للدولة لمحاولة استدراجهم او تجنيدهم سواء بالفكر المتطرف والدخول إليهم عن طريق الدين والجهاد في سبيل الله والشهادة والجنة ،

²⁹ . مصطفى محمد موسى ، المراقبة الإلكترونية عبر شبكة الانترنت، دار الكتب والوثائق القومية، 2003م ، ص227

³⁰ . فايز عبد الله الشهري - الخطاب الفكري على شبكة الانترنت "رؤية تحليلية لخصائص وسمات التطرف الإلكتروني"-الرياض - جامعة الملك سعود - 1429 هجرية - ص43

او استدراج الأفراد لنشر معلومات خاصة بهم ووظائفهم من خلال الفيس بوك او تويتر ثم دراسة جوانب شخصياتهم من خلال ما يقومون بنشره على صفحاتهم الشخصية لتحديدهم وسيلة استدراجهم للوقوع في براثن الإرهابيين وإقناعهم بالقيام بأعمال إرهابية تضر المجتمع والدولة.

يضاف الي ذلك قيام العديد من الجهات بشن حملات الكترونية واسعة النطاق تقوم من خلالها بنشر معلومات وأخبار تستهدف إثارة الفتنة وزعزعة الاستقرار بين أفراد المجتمع الواحد في البلد الواحد ، حيث تعمل على حشد الأفراد وتنظيمهم في منظمات وحركات تأخذ في الغالب مسميات ديمقراطية تستهدف إثارة الفتنة وإذكاء النعرات الطائفية والانقسامات في داخل المجتمع الواحد لتقوده لحرب أهلية تتمكن من خلالها من تدميره ذاتيا دون ان تخسر هي شيء من أموالها او جنودها.

بناء على ما سبق فانه يمكن القول أن وسائل الاتصال والتواصل الحديثة وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي، قد أصبحت اليوم من أقوى الأدوات والوسائل المستخدمة لتحقيق أهداف سياسية ودينية وثقافية وفكرية ، فبالرغم مما لها من ايجابيات في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية إلا أن تأثيرها السلبي على استقرار الدول والمجتمعات قد بات واضحا.

ان واقع الحال يفرض على الدول والحكومات الانتباه والحذر الشديد لما يدور على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي وبالتالي فرض الرقابة على تلك المواقع وما يدور فيها من حوارات وما يتم تبادلها من معلومات وأخبار لمنع الأضرار التي تترتب عليها ووضع البديل الصحيح من المعلومات أمام الشباب وترسيخ القيم الثقافية والدينية الصحية في عقول النشء منذ الصغر إنقاذا لهم من الوقوع في براثن التطرف والإرهاب وبعادهم عن قوى الشر والظلال،³¹.

وبشكل عام نجد أن أبرز ملامح واتجاهات مواقع ثقافة التطرف والعنف تتلخص في³²:

- 1- نشر الكتب والفتاوى المتشددة التي تدعو للتطرف ومن ثم العنف والتدمير.
- 2- إنشاء مواقع شخصية لرموز التطرف.
- 3- تمجيد وتبني فكر رموز الفكر المتطرف.
- 4- توثيق العمليات الإرهابية وتمجيد مرتكبيها.

³¹ . إبراهيم بعزير ، وسائل الاتصال الجديدة والأمن القومي – دراسة في دور مواقع التواصل الاجتماعي في زعزعة أمن واستقرار الدول، مجلة إستراتيجيا- العدد الأول ، 2014م ، ص93، ص106
³² محمد سعيد أبو عامود ، البناء التنظيمي لجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي وأثره في السلوك السياسي لهذه الجماعات : مصر كحالة للدراسة – مجلة المستقبل العربي ، العدد 143- ص9ص12

النتائج:

نستطيع القول أن هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

- تساهم وسائل الاتصال الحديثة بالتأثير المباشر على القيم والثقافات.
- تحتاج ثورة الاتصال والتواصل إلى رفع مستوى الوعي بأهمية وتأثير وسائل الاتصال الحديثة على الثقافة والقيم.
- العلم لما يوظف له فقد تكون التقنيات وسيلة هدم أو وسيلة بناء للإنسان، وحسب ما تستخدم له.

التوصيات:

- رفع مستوى الوعي لدى الأفراد بأهمية القيم المؤسسة للهوية الوطنية ودورها في بناء هويتهم الشخصية، وذلك من خلال المحاضرات والندوات والمساقات الخاصة في هذا الموضوع.
- غرس مفهوم الهوية الوطنية الجامعة وأهميتها في ضمان وحدة المجتمع مع الحفاظ على الهويات الفرعية الأخرى داخل الهوية الجامعة الكبرى.
- مقاومة القيم الثقافية القادمة من الخارج والتي تتعارض مع ثقافتنا ومعتقداتنا.
- تجنب منطوق إقصاء الهويات المحلية الصغرى داخل المجتمع الواحد وتوعية الشباب بمخاطر وأضرار الثقافة الأحادية التي ترفض الآخر لأنها سبب التشدد والعنف.
- ضرورة تكثيف التعاون العربي والدولي في مجال زيادة التعاون الأمني والتشريعي الذي يساهم بمحاربة ثقافة التطرف والعنف، وخاصة مكافحة الجرائم المعلوماتية، حيث إن خطر الإرهاب لن يقتصر على مكان دون آخر أو دولة دون أخرى حيث لا توجد دولة بمنأى عن الإرهاب .

قائمة المراجع:

- إبراهيم بعزير،- وسائل الاتصال الجديدة والأمن القومي ، دراسة في دور مواقع التواصل الاجتماعي في زعزعة أمن واستقرار الدول ، مجلة إستراتيجيا، العدد الأول،-2014م .
- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية – الحقائق و المغالطات، دار الأمة للطباعة والترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1995.
- احمد بدر، الاتصال بالجمهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982.
- احمد جاعد الدليمي، علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
- إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- جورج لارين :الإيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، 2002.
- حيدر فريحات ، العولمة ، الغاية أم الأشجار التي تكونها ، جريدة الرأي ، العدد 13194، تاريخ 2006/11/13.
- رضا محمد الداوق، العولمة تداعياتها وأثارها وسبل مواجهتها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- زيز مشواط، إشكالية الهوية في العلوم الإنسانية، مأزق الإشكال وقلق المفهوم، جريدة المنعطف، العدد 2377، 28 أبريل 2005، ص18(3). عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، موسوعة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.
- سعيد التل ، الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، نقلا عن الرأي الأردنية ، العدد 12975، تاريخ 2006/4/5.
- عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات"، عمان، دار الشروق، 2008م.
- عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م.
- عبد الرحمن عزي، الثقافة وحنمية الاتصال، نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع295، 2003.
- عبد الرحيم عني، وسائل الإعلام الاجتماعية ودورها في تغيير القيم وبناء الهويات الرقمية لدى الشباب الجامعي، بحث منشورة على شبكة الانترنت ، تاريخ: الخميس ١٥ آب (أغسطس) ٢٠١٣.

- عبد الرشيد عبد الحافظ ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.
- عبد الله بلقزيز ، النظام الإعلامي السمعي – البصري الغربي والاختراق الثقافي في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
- عبد الله زين الحيدري، "الإعلام الجديد: النظام والفوضى"، أبحاث المؤتمر الدولي، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد"، جامعة البحرين، من 7-9 ابريل 2009 م .
- عبد الله عمر الفراء، تكنولوجيا التعليم والاتصال، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطابع الأرز، الأردن، 1999.
- عفاف طباله حول الدور الثقافي للتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع87، 1995.
- فاطمة البريكي ، صحيفة البيان الإماراتية-7-4-2006.
- فايز عبد الله الشهري ، الخطاب الفكري على شبكة الانترنت "رؤية تحليلية لخصائص وسمات التطرف الالكتروني"-الرياض – جامعة الملك سعود ، 1429 هجرية .
- فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية -1996- 38 الثقافة- الموسوعة العربية العالمية -مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- فهد بن عبد العزيز السندي، محاضرة منشورة على موقعه على الفيس بوك.
- محمد سعيد أبو عامود – البناء التنظيمي لجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي وأثره في السلوك السياسي لهذه الجماعات : مصر كحالة للدراسة – مجلة المستقبل العربي – العدد 143.
- مصطفى محمد موسى ، المراقبة الالكترونية عبر شبكة الانترنت ، دار الكتب والوثائق القومية ، 2003 م .
- ناصر الدين الأسد ، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، ع16، 1999.

شبكة الانترنت:

- تقرير على الموقع الالكتروني للمنظمة العربية للثقافة والعلوم: <http://www.alecso.org/site/> .
- مصطفى عبد الله الكفري ، العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، الموقع الالكتروني WWW.REZGAR.COM:
- مقالة على الموقع الالكتروني: <http://computing dictionary.the freedictionary.com/new+media>